Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك نكتة تطلب ، وعائدة على المعنى تراد وتقصد ، ترفع من شأنه وتفخم من قدره ، ويقترن حظه من الفضل بحظها ويجيء حسنه من حسنها ، وإلا كان حمل اللفظ على البديع منقصة وشينا ، وصار اعفاؤه ، منه فضلا وحسنا .

قال فى مقدمة أسرار البلاغة ، وهو يتحدث عن اللفظ والمعنى : « وههنا اقسام قد يتوهم فى بدء الفكرة وقبل اتمام العبرة ، ان الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس ، إلى ما يناجى فيه العقل والنفس ، ولها – اذا حقق النظر – مرجع إلى ذلك ، ومتصرف فيما هنالك ، منها التجنيس والحشو .

أما التجنيس فإنك لاتستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان وقع معنيهما من العقل حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا . اتراك استضعفت تجنيس ابى تمام فى قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب ام مذهب

وقول المحدث :

ناظراه فيما جنى ناظراه أودعانى امت بما أودعانى

لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ ام لانك رأيت الفائدة ضعفت فى الأول ، وقويت فى الثانى ، ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على ان اسمعك حروفا مكررة ، تروم لها فائدة . فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد اعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أداها ، ويوهمك كأنه لم يزدك ، وقد أحسن الزيادة ورفاها ؟ فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المتوفى منه ، المتفق فى الصورة من حلى الشعر ، ومذكورا فى اقسام البديع[1] .

فانظر إلى عبد القاهر ، كيف جعل الجناس بهذا التخييل البديع . يعود إلى جانب المعنى ومن قبيل ما تدرك لذته بالوجدان والفكر . لا باللفظ والجرس وذلك بما تتوهمه النفس بدئيا بتكرار اللفظ ، من أنه لاجديد إلا كد الإعادة والترديد ، فإذا نظرت وتأملت ، وجدت من الجديد ما يروق ويعجب ، ويهزها اريحية ويملؤها غبطة .

---

(١) أسرار البلاغة ص٤ ، ٥ .